

مساجلة الرمال

للآنسة النابغة « مى »

[أنواج عديدة من الرمل تتلعلل شيئاً فشيئاً ،
فوجاً بعد فوج ، وتتحدث في أواخر الليل]

— الظلام يولى هارباً ، وعمود الفجر يكاد ينشق . عما
قليل تشرق الشمس فلا يلبث قرصها أن يتقلب أتوناً يصلينا
نار السعير .

— سيات لدينا الليل والنهار . كل يوم ننتظر من الظلام
غذوبة تحت أنوار الكواكب الواهية . ولكن حرارة الشمس
تظل مستودعة في كياننا فنلبث في انقار واضطرام يوماً بعد يوم ،
وليلة بعد ليلة

— إنما جعلتنا الأقدار متحاذيات متلاصقات لنفرش هذه
الأرض ونكوّن منها الصداة المحترقة . يتهموننا بأن لمسنا يشوى
اليد والقدم شيئاً ، ولكن ألسنا نعانى في كياننا القدور علينا من
عذاب السعير ؟ وددت لو أن لى دمعاً أذرفه من فرط السامة
والحنق والألم !

— طالبا شهدنا الخلائق تهبط علينا وقد أضناها التعب
والوصب ، فنفق الحيوان على صدرنا ، ومات الانسان بين يدينا ،
ووجد كل منهما عندنا ملجأً طبيعياً يتلقاهما ويضمهما اليه .
ونحن الجائعات الظامئات التصبّات على الدوام ، ليس لنا من
يرضى لحالتنا ويسعفنا . نحن النائقات الى التفت من حالتنا الراحنة ،
ليس لنا أن نحصى في علو ما ونهبط في مستقر غير هذا . وانصب
من هذا الوجود القاحل في ديمومة السكوت والجود !

— أو لا تتحركين وتنتقلين عند ما تطؤك سنايك الخليل
وأخفاف البعير أقدام الانسان ، لدن مرور هاتيك القوافل التي
ما فتئت تطويننا منذ أن كان البحر وليداً ؟

— ليست هذه هي الحركة التي نشد . إن شوقاً عميقاً فينا
يتلّف على حركة من نوع آخر

— كم من حركة مفاجئة خبرت عند ما عصفت بي السجوم
في النهار أو الخروار في الليل ! زعازع وأنواء انتزعتنى في عنف
من مقرى إلى مقر آخر ، فما كنت منتقلة إلا من الرضاء إلى
الرمضاء . حيث السعير دائم والأوار مقيم !

— وأنا تلقفتنى العواصف غير مرة . فخطت بي يوماً عند
ساحل البحر فامتزجت بالماء ورسبت في القعر . وأغفلنى هناك
زماً الدهر الوسنان . ثم قذفت بي الأمواج على الشاطئ ، فتناولتنى
الزوبعة الهوجاء ، وردتني إلى مستقرى في هذه البطحاء !

— وأنا كم حدث بي الريح إلى حيث الينابيع تنفجر والمياه
تجرى ! إلى حيث الأرض كريمة والأشجار ظليمة ، وقد نورت
الأزهار هنا وهناك وهناك على صفحة الروض ، وتشابكت
الرياحين بمشيلاتها من شذى النباتات فبقى الهواء بأريج العطور !..

— لا تذكر الماء والعطر والظلال لرمال شقية قضى عليها
بالخل والاضطرام والصدى ، لا ترهفن فينا أشواقاً تأبى التحقيق !
— أتوق إلى الدوبان في سائل ما ، ولو كان ذياك السائل
القانى الذى رأيتنا أحياناً على جسد الانسان والحيوان ! ولكننا
غير قابلات للجرح الذى يغسل قلوبنا بنجيع الدماء ، ولن نكون
يوماً قيناتا بابتسامة الحياة وغذوبة الحنان . قضى علينا بأن
نكون دواماً في حكم الموتى ، وقد حرّمنا تماماً مجيئها غيرنا في
جنّ الأرض

— أنكون في حكم الموتى ونحن نشواق وتتعذب ؟ ألا ليت
كل قافلة عابرة تسير بي إلى حيث ينبخ الركب ! حيث الخيمة
المضيافة والناس يضرمون النار ويأكلون ، وينهلون الماء
ويرتوون ! وأحنيني إلى ههنا المضارب ! وأحنيني إلى كيان
قابل للرئ والارتواء !

— لو كان لى أن أرجو الوصول يوماً إلى تلك الحالة الراغبة
لأعائني الرجاء على الاحتمال ، وكان لى منه العزاء والسوى ! ولكننا
في هذه البطاح الصماء البكاء ، إنما وجدنا لتقطع كل صلة بين
الحياة والحياة !

الرمال ! إنه جاء بمعجزة المعجزات فأخرج الخصب الخصب
من ديار القحط والجذب !

— فتي الصحراء العجيب ، ذو العينين الدعجاوين حيث
أودعت السماء نعاطة الضياء ! إن ذكره لمعزجة بذكرانا !

— نحن الرمال لم يكن وجودنا عبثاً كما زعمنا في أجلنا المديد
الآليم ! نحن الجامدات ، كنا مبعث الحركة والحياة ! نحن
القاحلات ، كنا ومازلنا سبيل الهجرة الخصيبة

أشرقت الشمس — شمس اليوم الأول من العام الهجرى .
من الرمضاء تتصاعد أشباح أثرية تدور رشقة في نور النهار
الجديد . وقد أصبحت أفواج الرمال القريبة والبعيدة كلها جوقة
واحدة تنشد :

« نحن الرمال القاحلة ،

« لا خصب يوازي خصبنا !

« نحن الرمال الجامدة

« هل من حياة كحياتنا ؟ »

« مى »

أمنية

للدكتور محمد عوض محمد

ألا من لنفسي والأمانى منيرة — بأرض خلّت من ظالم ولهم
وصومعة شيدت على رأس رهوة — مهب رياح : زعنبر ونسيم .
تطلّ على بحر يغبّ عبابه — كصدر لأسرار الزمان كتوم ؛
ومن خلفها ينبوع ماء مستلّ — كدّر على نحر الصخور نظم .
أطالع منها الكون : سفيراً ، تراحت — به الآي ، قد خطته كفّ حكيم ،
وأقرأ منها الغيب سرّاً محجّباً — بقلب بصير بالخفيّ علم .
وإن زارني فيها الردى متخشعاً — فأهلاً به من زائر ومقيم

محمد مرص

— ويك ! ماذا تقولين ، نحن قاحلات جائعات ظلمات
مشتاقات ، ولكننا وجدنا لنكون صلة بين الحياة ولباب الحياة !
— أو لا ترين الفجر يتلألأ في الأفق منياً ؟ غبار دقيق
من النور يتناثر حولي ، كأنه سحيق من الذهب والبلور . هذا
يوم عيد

— لولا هذا اليوم ومميزته بين الأيام ، ما كانت تلك القوافل
العديدة ، قوافل الحجاج التي تراها منذ قرون وقرون ذاهبة آتية
— لقد شهدت القوافل ذاهبة آتية منذ أن خرجت على
الصحراء رملاً ، وتعرّفت قوافل العرب الرحل وقوافل الغزاة
والحاربين والشعراء والعاشقين . وكم من حذاء سمّت !

— تلك القوافل تعددت ألوفاً وألوف الألوف منذ أربعة
عشر قرناً ، وتبدّل الغرض من ترحالها منذ أن انبثق من سويداء
قلب الصحراء جفيل النصر العظيم . فصارت القوافل قوافل
الذكرى والعبادة والسلام ، تقبل علينا في عجاجة وردية من قصى
الابعاد حيث يجئ أن الآفاق تتحرك ، وتغادرنا في عجاجة وردية
لتتوارى وراء الآفاق التي تحنو على وديعتها الفريدة الغالية

— أعرف تلك الوديسة ، فقد ساقنتني إليها الريح مرة !
هناك مشوى ذاك الذى عرف كيف يلتقى في أرواح الشعوب
روحاً حيّة خالدة

— فتي الصحراء ! فتي الصحراء الذى اصطفاه ربّه ليحمل
الكتاب . فمجر دياره ، وسلاحه كتاب ففزا به العالمين !

— الفاتح الذى لا يشبهه فاتح ! إنه لم يغز البلدان والأمصار
وكنى ، بل غزا القلوب بسرّه ، وفتح النفوس بسحره ، يوم خروجه
من الديار هو بدء تاريخ الهجرة . وها الناس على توالى القرون ،
وقد هاموا بمجاذيبته النورانية ، يهجرون ديارهم وخيراتهم
ويفتحون المغاور والأخطار ليحبجوا إلى البقعة الصغيرة العظيمة
التي تجمع عندها معنى الديار والأوطان ، وتركزت فيها ثقة البتّين
وانبعث منها نور الايمان !

— سيد الغزاة والفاتحين ! إنه فتانا ، فتي الرمضاء وفتي